تفسير ابن كثير

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه { هاؤم اقرؤوا كتابيه } أي خذوا اقرءا كتابيه لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة لأنه ممن بدل ا سيئاته حسنات قال عبد الرحمن بن زيد : معنى { هاؤم اقرؤوا كتابيه } أي هااقرءوا كتابيه وؤم زائدة كذا قال والظاهر أنها بمعنى هاكم .

وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا بشر بن مطر الواسطي حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم الأحول عن أبي عثمان قال : المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من ا فيقرأ سيئاته فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع إليه لونه ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات قال : فعند ذلك يقول : هاؤم اقرءوا كتابيه وحدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة حدثنا روح بن عبادة حدثنا موسى بن عبيدة أخبرني عبد ا بن عبد ا بن حنظلة غسيل الملائكة قال : إن ا يوقف عبده يوم القيامة فيبدي أي يظهر سيئاته في ظهر صحيفته فيقول له أنت عملت هذا فيقول نعم أي رب فيقول له إني لم أفضحك به وإني قد غفرت لك فيقول عند ذلك هاؤم اقرءوا كتابيه { إني ظننت أني ملاق حسابيه } حين نجا من فضيحته يوم القيامة .

وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [يدني ا العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى إذا رأى أنه قد هلك قال ا تعالى إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة ا على الظالمين] وقوله تعالى : { إني ظننت أني ملاق حسابيه } أي قد كنت موقنا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة كما قال تعالى : { الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم } قال ا تعالى : { فهو في عيشة راضية } أي مرضية { في جنة عالية } أي رفيعة قصورها حسان حورها نعيمة دورها دائم حبورها .

قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكوني حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال : سمعت أبا أمامة قال : [سأل رجل رسول ا صلى ا عليه وسلّم : هل يتزاور أهل الجنة ؟ قال : نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين تقصر بهم أعمالهم] وقد ثبت في الصحيح [إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض] وقوله تعالى : { قطوفها دانية }

قال البراء بن عازب : أي قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره وكذا قال غير واحد .

قال الطبراني عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسي قال : [قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز : بسم ا الرحمن الرحيم هذا كتاب من ا لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية] وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال : [يعطى المؤمن جوازا على الصراط : بسم ا الرحمن الرحيم هذا كتاب من ا العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية] وقوله تعالى : { كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية } أي يقال لهم ذلك تفضلا عليهم وامتنانا وإنعاما وإحسانا وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم أنه قال : [اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخله عمله الجنة قالوا : ولا أنت يا رسول ا ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني ا برحمة منه وفضل]